Al-Hajjaj’s mechanisms in the debates of Imam al-Sadiq (peace be upon him)

Ghada Casesar Fares
University of Thi-Qar /College of Islamic Sciences

Abstract:

Al-Hajjaj’s is a form of rhetoric through which arguers interpret in order to prove what is right and correct, or it is a mechanism through which the thoughts of arguers, their perceptions, and what is on their minds are expressed.
Pilgrimage is a discourse, but it is based on a dispute between two parties. Rather, a dispute over an issue or an opinion is the basis of the argumentative discourse, and the pilgrims seek to achieve a goal, which is persuasion

Keywords: Al-Hajjaj’s Imam al-Sadiq

آليات الحجاج في مناظرات الامام الصادق (عليه السلام)

م.م غادة قيصر فارس
جامعة ذي قار /كلية العلوم الاسلامية

الملخص :

إنَّ الحجاج ضربُ خطابيُ يتأوّل بوساطتهِ المحاججون بغية إثبات الحقّ والصواب، أو هو آلية تنبعث فيها خواطر المحاججين، وتصوَراتهم، وما يجول بفكرهم .

فالحجاج خطاب لكنَه قائم على خلاف بين طرفين، بل إنَّ الخلاف بشأن قضيةٍ ما أو رأيٍ ما يكون مرتكزاً للخطاب الحجاجي[1] ,ويسعى الحجاج لتحقيقِ غايةٍ وهي الإقناع

الكلمات المفتاحية : الحجاج ، الامام الصادق

المقدمة:

إن الحجاج جنس من الخطاب ،وهو جنس قائمٌ على الخلاف ما بين المتحاججين أي إنه وسط لتبادل الحجج وتقارعها بين الأطراف وبذلك يكون الحجاج ميداناً لتقارع الحجج وليضمن كل طرف من اطراف الخطاب الحجاجي الغلبة لنفسه والموالاة لحجته فلابد له من وضع استراتيجية حجاجية يعرض بوساطتها حججه موظفاً إياها بأسلوب متقن قادر على جني الأثر في الطرف الآخر واقناعه ، وهذا ما يتحقق في أمرين وهما : مراعاة حال المخاطب ونفسه وثقافته والأخر الآليات التي يوظفها المخاطِب التي تُسير العملية الحجاجية وتكون مركز الجذب الحجاجي في الخطاب .

هيكلية البحث :

قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة المبحث الأول تضمن الأدوات اللغوية والمبحث الثاني تضمن الأدوات الحجاجية والخاتمة جاءت بأهم نتائج البحث

منهج البحث

لقد انتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي حث وصفت الآليات الحجاجية ثم حللت الخطابات الحجاجية على وفق تحريك هذه الآليات للعملية الحجاجية داخل هذه الخطابات

المبحث الأول : الأدوات اللغوية

يرى الدكتور طه عبد الرحمن : " أنَّ اللّغة هي الواسطة التي توّرث الشيء الخارجي والشيء الذهني صفتها البنائيّة"[٢]، كُلّ ما هو موجود في الخارج وكُلّ ما يتغمده الذهن وما هو دفين في النفس تفصح عنه اللغة ويتمظهر بها , فهي إذن وسيلة تعبير , كما وتستنهض بأكثر من هذا فهي تسعى بجمال دوالها , وما تنطوي عليه من مدلولاتٍ إلى التأثير والإقناع بما تحمله من أفكار ودعاوى .لا تقوم اللغة سُدى بل تقوم على قصدٍ , وهذا ما انطلق منه "ادزماكد ديكرو" " O:Du CroL" إذ يقول:" إنَّنا نتكلم عامّة بقصد التأثير"[٣] فاللغة ليس مجرد علامات ورموز , بل هي نظام العلامات ورموزه , وهذا النظام هو ثقافة مشتركة بين المتكلمين يقوم على التوجه من قبل المُحاجّ بقصد الإفهام وعلى التلّقي والفهم من قبل الجمهور العام أو

الخاص , وبهذا تتمدد العلاقة التخاطبية التي تنتهي وإلى الإفهام والإقناع وتُثبت أنَّ للغة حمولة حجاجية,فهي ليست مجرد ألفاظ ومنطوقات[٤] ، **ومن أهم الأدوات اللغوية التي تسهم في تصعيد الحجاج وتُذكي جذوة الحوار مأ يأتي :**

أولاً: الاستفهام

ويُعرّف الاستفهام بأنَّه:" طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل , وهو الاستخبار, الذي قالوا فيه أنَّه طلب خبر ما ليس عندك أيّ طلب الفهم, ومنهم من فرّق بينهما وقال إنَّ ما سبق أوّلاً ولم يفهم حق الفهم , فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً"[٥]، وخير ما يوقد جذوة الحوار فيها السؤال الذي يكون استنهاضاً من السائل إلى خصمهِ لتبادل الأدوار الكلاميّة الكفيلة بعملية التواصل التي تمضي بالمناظرة قُدماً , وبهذا ينهض الاستفهام بعدة مهامّ ومقاصد للحجاج بشكل عام والحجاج في المناظرة بشكل خاص ويمكن إيراد بعض مهامه ومقاصده وهي :

١- قصد الاستفهام في التحضير والإعداد للحوار في المناظرة [٦]:

المناظرة تقوم على الحجاج وتستلزم الحوار, لذلك لابد لها من أن تتوسل بآليةِ الاستفهام التي تضطلع بدور التحضير للحوار ودعوة الخصم لطرح الأفكار وتبادل الكلام وتداوله ," إذ يتبدى سعيها إلى تحضير الخصم واستدراجه للنزال , ولاسيما أنَّ المناظرات لم تكن ملاعبات ترفيهية , بل مسؤولية يضطر إليها الوازع المذهبي , والديني و والسياسي, والعلمي , فيكون السؤال وسيلة لإفحام الخصم في المواجهة"[٧]،

لبيان كيفية اشتغال هذه الآلية حجاجياً ولتناول مناظرة الإمام الصادق "عليه السلام" عندما دخل عليه جماعةٌ من المعتزلة بعد مقتل الخليفة الوليد , واختلاف أهل الشام بشأن الخلافة , فأرادوا أن يستشيرون الإمام "عليه السلام " ونظراً لرجاحة عقل الإمام "عليه السلام" وعلمهِ بنواياهم بادر "عليه السلام" إلى كبيرهم ونائبهم في الحديث بالسؤال حيث دارت المناظرة كالآتي،نظراً لِما للاستفهام من قدرةٍ على تحضير الخصم واستدراجه واستظهار ما يكنّه,فقد وظف الإمام "عليه السلام" هذه الآليّة الحجاجيّة إذ بدأ بالسؤال كما هو واضح من نصّ المناظرة , فقد أخذ الإمام "عليه السلام" يسأل عمرو بين عبيد الذي هو المحاجَجُ يُجيب , وقد جاء الاستفهام بعدّةِ أدوات في عدّةِ مواضع من أمثلتها **(من كنت تولّي ؟ , عمَّن أخذت هذا؟ , كيف تضع بالغنيمة؟, فكيف تقسمه بينهم ؟ , أفتتولى أبا بكر ؟ , أفترضون فيما يجعلون من الشورى ؟ , فتصنعون ماذا؟ , ما تقول في الصدقة ؟)**،إذ استفهم الإمام "عليه السلام" بأكثر من أداة منها **(من , ما, ماذا, كيف, الهمزة)**، فهذه أدوات الاستفهام من أسماء ماخلا الهمزة التي هي حذف , وكلّ أداة ولها استفهاماً معينا، حيث تستفهم (من) عمّا يعقل[٨] وتُستفهم (كيف) عن حال الشيء وهيئتهِ [٩] وأما استفهام (ما) فهو عمّا لا يعقل[١٠] ,ولكن على اختلافها وظّفها الإمام "عليه السلام" ليستثمر ما بها من ما عليه وما يؤديهِ من إغراض يستدرج بها خصمه , وما

جاء من عبارات تتضمن معنى الاستفهام وإن لم تصرح بهِ بظهور أدواته مثل **(كلّهم؟ , بين فقهائهم وخيارهم ؟ , قريش وغيرهم ؟)**، وما كان من هذا القبيل في المناظرة , فالإمام "عليه السلام" بواسطةِ السؤال إنَّما ينتزع ما يعتقده المحاجَجُ,فقد تجلّى أَنَّ عمرو بن عبيد الذي تزعَم هذه الجماعة بحضرة الإمام "عليه السلام" كان متوهّماً بنفسه بأنّه عالمُ بأمور الخلافة , والشورى وشرائع الدين , وأحكام القرآن , وهذا ما دعا الإمام "عليه السلام" يستدرجه بالسؤال,ويستظهر ما هو متناقضاً بين ما يدّعيه وما كان سيفعله لو قبض مقاليد الأمور , كما كان جواب عمرو لاستفهام الإمام "عليه السلام" هو بيان لجهلهِ بكتاب اللهِ وأحكامهِ ,إذ خالف القرآن وسُنّةَ الرسول "صلى الله عليه واله وسلم" في كلِّ المواضع , فبواسطة هذه الآليّة الحجاجيّة كشف الإمام "عليه السلام" عن نيّةِ المحاجَجِ وهو عمرو بن عبيد , ومن كان معه من هؤلاء النفر وفَنّدَ دعواهم , وأستظهر جهلهم بكتابِ اللهِ وسُنّةِ الرسول "صلى الله عليه والهِ وسلم" , مع أَنَّ الإمام "عليه السلام" كان عالماً بنيةِ واعتقاد عمرو بن عبيد لكنّه أراد أَن يستظهره بالسؤال ليكون هذا شهادة على اعتقاده وقيداً له لئِلا يتنقّل منه , وبهذا فقد حاجّ الإمام "عليه السلام" عمرو بن عبيد ومن كان معه بوساطةِ الآليّة الاستفهامية وأقام عليه الحُجّة وأبطَلَ حُجّته وكلّ ما ترتّب عليها من نتائج.

ثانياً: النفي :

ويُعرّف بأنّه:" بابُ من أبواب المعنى يهدف بهِ المتكلّمُ إخراج الحكم في تركيبٍ لغويٍ مُثبتٍ إلى ضدّهِ وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكمٍ يخالفه إلى نقيضه , وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك , أو يصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم عن طريق غير مباشر من المقابلة أو ذكر الضدّ , أو بتعبير يسود في مجتمع ما فيقترن بضدّ الإيجاب والإثبات"[١١]

ما يُفقه من هذا الحدّ للنفي هو أنّه إبطالٌ لحكمٍ ما وإثبات لآخرٍ مناقض له , أيّ الإثبات لِما يضرّه ويُخالفه , لكن يكون هذا الإبطال أو الإلغاء مؤطرّاً بإطارٍ لغويّ يتمُ بواسطتهِ هذا الفعل, فهو إذن آلية إبطال وإلغاء وجهد هذا ما يجعله حاملاً لمحتوى حجاجي في الخطاب , فعند مواجهة الأطراف داخل الخطاب واحترام الصراع التحاوري ,يُتخذ من النفي آلية لإبطال الرأي المضاد وتفنيدهِ ، وتعريتهِ من الصواب,لهذا فهو يوظّف بهذه المواجهة لِما يضطلع بهِ من قلب ما يعتقده الخصم,والوقوف بوجهِ ادعائه[١٢],ويقوم النفي بعدةِ أدوار من شأنها أن تمنع النصّ فاعليّة حجاجيّة ومنها:

دور النفي في الجحد والتعويض:

يقوم النفي بجحد ما يُطرح من آراءٍ أو قضايا وتعويضها أيّ إعطاء أو طرح البديل لها وهذا ما سنجده في مناظرة الإمام "عليه السلام" فيما يخصّ حديث

الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" : "**اختلاف أمتي رحمةٌ** "[١٣] والظاهر أَنَّ هذا الحديث قد أُشكِلَ فهمهُ حَتَّى سأل عبد المؤمن الأنصاري * أبا عبد اللهِ "عليه السلام" قائلا : "**إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب,قال "عليه السلام": ليس حيث تذهب وذهبوا,وإنَّما أراد قول اللهِ "عَزّ وجلّ" :** " فلولا نفر من كُلْ فرقةٍ طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"[١٤]،**أمرهم أن ينفروا إلى رسولِ اللهِ "صلى الله عليه وآله وسلم",ويختلفوا ويتعلّموا,لا اختلافهم في الدين,وإنما الدين الواحد**"[١٥] .

لقد وظف الإمام "عليه السلام" في حجاجهِ في هذه المناظرة آليّة النفي ليقنع المحاجج بضعف دعواه لِما لها من القدرة على قلب هذه الدعوى وإبطالها , وإبطال ما يترتّب عليها من نتائجٍ, إذ يوظّف النفي غالباً لقلب ما يعتقده الخصم وتُبطله ,ويُسدّد أطروحته بواسطة الجحد[١٦], وقد تمثّل الجحد في قول الإمام "عليه السلام":**(ليس حيث تذهب وذهبوا)** فالإمام "عليه السلام" يعترض بقولهِ هذا على قولٍ سابق لقولهِ وهو قول عبد المؤمن الأنصاري وهو **(إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب)**,إذ جَحَدَ الإمام "عليه السلام" رأيه ورأي من روي عنهم ,وإن للجحدِ وظيفة متأصلة في النفي تُظهر حركتها الحجاجيّة كونها تطوق الخصم ,

وتعترض على دعوتهِ لتُعيده إلى البداية فتكون بمثابة مطالبتهِ بالدليل والإثبات[١٧], ثُمَّ يتجاوز الإمام "عليه السلام" في نفيه دور الجحد والاعتراض على هذه الدعوى والى تقديم بديل لها , وهذا ما وظّفه بواسطة التعويض الذّي يقوم بدورٍ حجاجي إذ " يُحقّق للنفي عمليّة الاستدلال ومن ثُمَّ فهو يُحوّل الاتجاه الحجاجي لصالح أطروحة النافي,متوخياً دفع الغير مشاركة اعتقاداته"[١٨],حيث أتى الإمام "عليه السلام" بالتعويض في قولهِ:**(إنما أراد قول اللهُ)** وذكر الآية الكريمة . وحديث الرسول وهو كلمة **(اختلاف)** فهو الاختلاف إلى بلد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" لطلب العلم والتفقهِ ليس الاختلاف في الدين , فما كان مشكل فهمه عند هؤلاء قد فكّكه الإمام "عليه السلام" وأوضحه بالتعويض الذي يمتلك قوّة حجاجيّة وفاعليّة إقناعية تُسلّط على المحاجَجِ لأنَّ " التعويض يُجيب على سؤال عادة ما يواجه المعترض بالنفي وهو ما البديل الذي تُقدّمه؟, وبتقديمهِ لهذا البديل وبهذا الرأي المغُاير يُضيع على فرصة المطالبة بهِ"[١٩] , فالإمام "عليه السلام" بتوظيفهِ آليّة قد فَنّدَ وأبطَلَ دعوى الطرف الأخر أيّ المحاجج وألغى كُلَّ ما يترتّب عليها من نتائج .

المبحث الثاني :الأدوات الحجاجيّة:

إنَّ قيمة كلّ قول ليس بما يحمله من معلومةٍ, وإنَّما بما ينتهي إليه من نتيجةٍ, وهذه النتيجة جاءت بها مقدمة,وساقها مؤشرٌ لغوي, إذ إنَّ للّغةِ أدوات ومواد تعمل على تسلسل مكوّنات أو أجزاء الخطاب فهي أدوات لغويّة أو مؤشرات لغويّة تختصّ

بالحجاج[٢٠].وتُعرف هذه الأدوات بأنَّها " تلك الأدوات التي تساعد على عقد العلاقات بين الحُجج والنتائج,أيّ أنّها تُعين المتكلم على تقديم حُججهِ في صورةٍ تناسب المقام أو السياق الذي هو فيه وتَصِلَه إلى غرضهِ في طرح الخطاب على ذلك المتلقي"[٢١] ويمكن عدّ الروابط الحجاجية من أهم الآليات اللغوية .

الروابط الحجاجيّة:

تعد الروابط من أهم تلك الأدوات, فهي تلعب دوراً هامّاً في توجيه الخطاب الحجاجي تُعّمقه وتُقوّيه, فهي تربط بين حجتين أو أكثر, كما تسند لكلّ قول دوراً محدّداً داخل الإستراتيجية الحجاجيّة بشكل عام, والروابط كثيرةُ ومتنوعة, ويتنوع دورها وعملها بتنوّعها, فمن الروابط بين قول وآخر يستلزمه أيّ التسليم بقولٍ ينقلنا إلى التسليم بقولٍ آخرٍ نَتَجَ عنها, وفيها ما يربط أو يُدرج حُجّةً تكون أقوى من سابقها تَشُدُ على عَضُدِ أُختها لتخدمان نتيجةً واحدةً[٢٢].

وتُعَرّف الروابط الحجاجيّة بـ" إنَّها عُدَّةٌ لغويّة تَصِلُ بين ملفوظين أو أكثر تُمَ سوقها ضمن نفس الإستراتيجية الحجاجيّة"[٢٣] ولمعرفةِ طبيعة هذه الروابط وكيفيّة اشتغالها داخل الإستراتجية الحجاجيّة لنأخذ شواهد منها:

١ – الرابط الحجاجي: (بل):

يمكن تعريفها " هي من الحروف الهوامل, ومعناها الإضراب عن الأوّل والإيجاب للثاني"[٢٤] كما وتُعرّف (بل) " هي حرف إضراب وله حالات: أن يقع بعده جملة, والثاني أن يقع بعده مفرد, فإن وقع بعده جملة كان إضراباً عمّا قبلها, وإما على جهةِ الترك للانتقال, من غير إبطال"[٢٥]،وعملها الحجاجي هو ترتيب الحُجج في السُلّم وهذه الحُجج متعارضة بعضها منفي وبعضها مُثبت , حيث تقوم بفعلين لغويين تنفي ما قبلها وتثبت ما بعدها[٢٦].

يتّضح الدور الحجاجي للرابط (بل) من مناظرة الإمام "عليه السلام" مع الزنديق عند سؤال الزنديق عن حال أهل الجنّةِ:**"قال: أليسوا يأكلون ويشربون, وتزعم أنَّهم لا تكون لهم حاجةٌ؟,قال:"عليه السلام": بلى,لأنَّ غذائهم رقيق لا يقل له, بل يخرجُ من أجسادهم بالعرق"**[٢٧].

نجد الرابط (بل) قد رَبَطَ بين حُجتين متضامتين, فالمناظرة تكشف عن احتجاج الزنديق على الإمام "عليه السلام" بِحُجّةٍ وهي:(إنَّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون)، وهذه الحُجة متضمّنة لنتيجة وهي:(أنهم يقضون حاجة)، وهذا ما يترتب على الأكلِ والشرب, وعنده الحُجّة يُريد الزنديق أن يُبطل دعوى الإمام "عليه السلام" وينفيها فقد جاء على لسان الزنديق أنَّه زَعمٌ من الإمام "عليه السلام" وهذا واضح من صيغةِ استفهام الزنديق الذي خرج لغرض النفي, لكن الإمام "عليه السلام" بادر إليه وهذا

واضح من صيغةِ استفهام الزنديق الذي خرج لغرض النفي, لكن الإمام "عليه السلام" بادر إليه بتفنيد حُجّتهِ وما يدعوا إليه إذ نلاحظ أنَّه "عليه السلام" لم يُجبهِ بنعم, التي يُفيد جوابها للنفي والإثبات وتُفيد تصديق ما يأتي به المُخبر وتأكيده بل أجابه بـ(بلى) التي تعمل على تفنيد حُجّتهِ وما يدعوا إليه إذ نلاحظ أنَّه "عليه السلام" لم يُجبهِ بـ(نعم),التي يُفيد جوابها للنفي والإثبات وتُفيد تصديق ما يأتي به المُخبر وتأكيده بل أجابه بـ(بلى) التي تختصّ بالنفي وتُبطله[٢٨], إذ أبطَلَ الإمام "عليه السلام" بهذا الجواب لدعوى الزنديق وهي (عدم إتيانهم الحاجة) حُجّة الإمام "عليه السلام" التي عللّها بدقّةِ غذائهم وخفتهِ موظّفاً الرابط (بل) الذي جاء بالحُجّة الداحضة "خروجه عن طريق التعرّف" وهي الأقوى إذ " إنَّ الحُجّة الثانية تكون هي الأقوى التي ينقاد إليها الخطاب برمتهِ""[٢٩] والحُجّة السوقة من قبل الرابط "بل" جاءت جملةً وبهذا فقد أضربت "بل" عما قبلها, أيّ أنَّ الإمام "عليه السلام" قد أبَطَل بواسطة الرابط الحجاجي "بل" دعوى أو حجة الزنديق, وأُثبت الحجّة التالية للرابط والمعللّة من قِبَلِ الإمام "عليه السلام" عندما أجاب بـ"بل" الذي ساق الحجّة "خروج الغذاء بالتعرّق" وهي حُجّة مدعّمة لنتيجةٍ وهي"قدم قضائهم الحاجة" وهي مضادّه لمِا أحتج بهِ الزنديق, ويمكن رسم العلاقة الحجاجيّة

٢- الرابط الحجاجي (حَتَّى) :

يُسهم الرابط الحجاجي (حتَّى) بدورهم في الحجاج , فقد ذَهب ديكرو وانسكومبر إلى "أنَّ الحجج بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فِئةٍ حجاجيّة واحدة, أَيَّ أَنَّها تَخدم نتيجة واحدةً, الحجّةُ التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى, لذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة "حتَّى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"[٣٠].

ويمكن تبيّن الدور الذي يلعبه الرابط الحجاجي (حتّى) في مناظرة الإمام "عليه السلام" في مسألة الزنديق: **يسأل الزنديق الإمام "عليه السلام" عَمّن قال إنَّ العالم والخلق ليس له خالق ومدبر وإنّما في كلِّ زمان يكون حكيم بأحوال الخلق يأمرهم بالخير وينهاهم عن السوء ليحقّق بينهم السلم والأمان**, وهذا ما يعتقده الزنديق ويتظاهر بالسؤال عنه فهو حُجّة تنطوي على نتيجةٍ وهي عدم وجود مدبر للكون والخلق أيّ عدم وجود الله وتدبيره لخلقهِ .نلاحظ من جواب الإمام "عليه السلام" الذي جاء في نصّ المناظرة: قال "عليه السلام":" **ويحك إنَّ من خرج مِن بطنِ أُمهِ أمس, ويرحل عن الدُّنيا غداً, لا علم له بما كان قبله ولا ما يكون بعده, ثُمَّ أنّه لا يخلو الإنسان من أن يكون خلق نفسه أو خلقه غيره, أو لم يزل موجوداً, فما ليس بشيء ليس بقدر أن يخلق شيئاً وهو ليس بشيء , وكذلك ما لم يكن فيكون شيئاً, يسأل فلا يعلم كيف كان ابتداؤه, ولو كان الإنسان أزلياً لم تحدث فيه الحوادث, لأنَّ الأزلي لا تغيره الأيام, ولا يأتي عليه الفناء , ع إنّا لم نجد بناءً من**

غير بانٍ, ولا أثراً من غير مؤثر ولا تأليفاً من غير مؤلف, فمن زعم إنّ أباه خلقه, قيل فمن خلق أباه؟ ولو إنَّ الأب هو الذي يخلق أبنه لخلقه على شهوتهِ, وصوّره على محبته لملل حياته, ولجاز فيه حكمه, ولكنه إن مرض فلم ينفعه, وإن مات فعجز عن ردّهِ إنّ من استطاع أن يخلق خلقاً وينفخ فيه روحاً حتَّى يمشي على رجليه سوّياً, يقدر أن يدفع عنه الفساد"[٣١].

نلاحظ من جواب الإمام "عليه السلام" حيث زجر الزنديق, ونفى أن يكون العالم وتدبيره بيد المخلوق, أو أنَّ العالم خلقه أو ابتداءه مخلوق, وقد أورد الإمام "عليه السلام" مجموعة من الحجج التي تسعى إلى نتيجةٍ واحدةٍ, وهي أنّ الخلق لله تعالى وتدبير الخلق والعالم بيدهِ لكن الإمام "عليه السلام" قام بتصعيد حجاجهِ عن طريق الرابط الحجاجي (حتّى) وهي هنا عاطفة"[٣٢] إذ إنَّ ختام المناظرة أيّ جواب الإمام "عليه السلام" للزنديق قد كثّف فيه ما أورده من حجج في هاتين الحجتين وهي خلق الله، ونفخه الروح فيه هاتان الجهتان قد سبقتا الرابط (حَتَّى) ثُمَّ عطف عليهما (حَتَّى) حُجّة أخرى على نفس شاكلتها فلم تعترض عليها وإنّما كانت معززّة لهما في القصد, وقد تضمنت هذه الحجج نتيجة واحدة هي (وجود الله وتدبيره للخلق), لكن الحُجّة التي جاءت بعد الرابط (حتَّى) هي الأقوى لأنَّها معطوفة والمعطوف هو غاية لمِا قبلها أيّ الرابط (حَتَّى) سواء في الزيادةِ أو النقص[٣٣]. المعطوف هنا هو الحُجّة

التي جاءت بعد الرابط (حتَّى) التي هي (يمشني) الأخيرة تمثّل موقع قوة الحُجّة في الزيادة, فمن يخلق وينفخ الروح ويجعل المخلوق يمشي على رجليه هو قادر على دفع الفساد عنه, وهذه النتيجة التي انتهى إليها الإمام من توظيفهِ للِرابط والحجج, وهي نتيجة تمحق ما ذهب إليهِ الزنديق من معتقد.

- الرابط الحجاجي (لكن):

يستعمل هذا الرابط للحجاج والإبطال, وبما أنَّ الدراسة تستهدف الحجاج لذلك سوف توجّه تلقاء دور هذا الرابط في الحجاج, إنَّ (لكن) سواء كانت حجاجيّة أم أبطالية فهي معبرّة عن التعارض والتنافي, إذ إنَّها تتوسّط ما بين متعارضين أو متنافيين, ويمكن تلخيص اشتغال (لكن) في إنَّها تربط بين حجتين متعارضتين, إذ تتوجّه الحُجّة الأوَّلى التي تسبق (لكن) لتخدم نتيجة معينة, بينما تسير الثانية التي تلي (لكن) نحو نتيجة مضادّة لمِا سعت إليه الحُجّة الأولى, تكون الحُجّة الثانية هي الأقوّى لذلك فهي تمسك زمام الخطاب أو القول[٣٤].

بوسعنا أن نقف على هذا الرابط واشتغاله في مناظرة الإمام "عليه السلام" مع أبي حنيفة النعمان عندما كان جالساً مع الإمام "عليه السلام" على طعام, فلمّا فرغ الإمام "عليه السلام" قال:" **الحمد لله ربّ العالمين اللّهمّ إنَّ هذا منك ومن رسولك "صلى الله عليه وآله وسلم", فقال أبو حنيفة: أجعلت مع الله شريكاً, فقال "عليه**

السلام":ويلك إنَّ الله تبارك يقول في كتابهِ: "وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضلهِ"[٣٥],ويقول في موضع آخر:" ولو رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا اللهُ من فضلهِ ورسولهِ"[٣٦],فقال أبو حنيفة:واللهِ لكأني ما قرأتهما قط من كتاب الله,ولا سمعتهما إلاّ في هذا الوقت, فقال أبو عبد الله "عليه السلام" بلى قرأتهما وسمعتهما ولكن الله أنزل فيك وفي أشباهك "أم على قلوبٍ أقفالها"[٣٧],وقال الله تعالى: ""كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[٣٨]" "[٣٩].

ربطت (لكن) بين حُجّتين الأوّلى قول الإمام "عليه السلام" (إنك قرأتهما وسمعتهما) إذ إنَّ هاتين اللفظين حجتان تعدّان لنتيجةٍ معينةٍ وهي المعرفة بالقرآن والفقهِ بأحكامهِ وما جاء بهِ, وهذا سبق الرابط (لكن) بينما ما جاء بعد (لكن) كسر التوقع فهو حُجّة ترمي إلى نتيجة مضادّة للسابقة, فالإمام "عليه السلام" هنا يُلحق أبا حنيفة بمن قال الله فيهم إنهم مُرين على قلوبهم, وإنّها مقفلةٌ لا تستقبل القرآن وإن سمعوه أو قرأوه, وهذا يتعارض مع ما جاء في النتيجة السابقةِ أو المتوقعّةِ من الحُجّة الأوّلى وهي الاعتبار بالقرآن والسير على نهجه", وقد آلت نهاية الحجاج إلى النتيجة الثانية باعتبار حُجّتها هي الأقوى, وأنَّ الله قد أغفَلَ وأقفَلَ قلوب هؤلاء بسبب أعمالهم.

٤- الرابط الحجاجي: (واو العطف):

وهو رابط حجاجي مهم إذ لا تنحصر مهمتّه بجمع الحجج فحسب, حيث يرى الشهري: " يستعمل الواو حجاجيّاً وذلك بترتيب الحجج, ووصل بعضها ببعض, بل وتقوّي كلّ حُجّة منها الأخرى, وتعمل على الربط النسقي أفقياً على عكس السلم الحجاجي"[٤٠]،ويمكن الوقوف على دور هذا الرابط في العملية الحجاجيّة من مناظرة الإمام "عليه السلام": سأله الزنديق: " **كيف يعبد الله الخلق ولم يروه,قال "عليه السلام": رأته القلوب بنور الإيمان, وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان, وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف ثُمَّ الرسل وآياتها,والكتب ومحكماتها,وأقتصرت العلماء على ما رأت من عظمتهِ دون رؤيتهِ**""[٤١].

حينما نقف عند المناظرة متأملين فيها نجد أنَّ الإمام "عليه السلام" يُقيم الحُجّة بواسطة الرابط الحجاجي (واو العطف), ويمكن التمثيل لهذه المناظرة أو لحالة إقامة الحُجّة بالمخطط الآتي:

ح١ "رأته القلوب بنور الإيمان"

كيف يعبد الله ح٢ "أثبتته العقول بيقظتها" إذن الله موجود

ولم يروه ح٣ "أبصرته الإبصار بما رأته"

حيث أفاد الرابط الجماعي (واو العطف) في ربط الحُجج بعضها ببعض, وتقويتها كلّ حُجّةٍ منها الأُخرى بصورةٍ أُفقية تخدم النتيجة المبتغاة من الحجاج وهي رؤية عظمة الله تدل على وجودهِ أو إنَّ رؤية الله هي رؤية قلبية وعقلية وليس بالبعد, إذ إنَّ تكرار الرابط الحجاجي هنا (الواو) أعطى قوةً حجاجيّة للنصّ كما دلَّ على كثرة الحجج, وربط الحجج ربطاً نسقياً أُفقياً كانت فيه الحجج كلّها متساوية من حيث القوة إذ لم تمتاز حُجّةُ على أخرى, فقد جاء هذا الرابط بفئةٍ حجاجيّة متساوية لا متعارضة.

الخاتمة :

١-إن الحجاج نوع خطابي قائم على اختلاف وجهات النظر ،وهذا ماجعل منطقة الاشتغال فيه قريبة من خطاب المناظرة ،فهي خطاب قائم على الخلاف

٢-إن للحجاج مقومين وهما مراعاة حال المخاطب وثقافته والآليات الحجاجية باختلافها

٣- لقد كان لآليات اللغة من أدوات لغوية وأدوات حجاجية دور كبير في تصعيد الحجاج وتحصيل الاقناع

الهوامش :

[١] **يُنظر : النصّ الحجاجي العربي ،دراسة في وسائل الإقناع :٤٤.**

[٢] **اللسان والميزان "التكوثر العقلي" :٦٥.**

[٣] **اللغة والحجاج :٨.**

[٤] **ينظر : اللسان والميزان "التكوثر العقلي" :٢١٣-٢١٤ .**

[٥] **الصاحبي:١٨١.**

[٦] **بلاغة الإقناع في المناظرة :٢١٠ .**

[٧] المصدر نفسه:٢١٠.

*عمرو بن عبيد :هو عمرو بن عبيد أبو عثمان وقيل: أبو مروان التميمي, أحد رجالات المعتزلة القدرية,كان عابداً زاهداً,متكلماً,أديباً,شاعراً,ولد سنة "٨٠هـ" وسكن البصرة,توفي بـ"مران" سنة "١٤٤هـ", وقيل: "١٤٣هـ",وقيل:"١٤٢هـ" , وقيل:"١٤٨هـ" , أنمرق بعد ذلك عن أهل البيت "عليهم السلام "وصار معارضاً لهم. ينظر: الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق"عليه السلام":٤٩٨/٢.

[٨] ينظر: كتاب سيبويه :٢٢٨/٤.

[٩] ينظر :حروف المعاني :٣٥.

[١٠] ينظر : كتاب سيبويه : ٤/ ٢٢٨.

[١١] في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي:١٥٤.

[١٢] ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة :٢٢٣ .

[١٣] السيرة الحليّة :٣٨٧/٣ .

*عبد المؤمن الأنصاري : غير مُعرّف في معاجم الرجال.

[١٤] من سورة التوبة:١٢٢ .

[١٥] الاحتجاج : ١٠٥/٢ .

[١٦] ينظر: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفيّة لبعض قضايا التراكيب في اللغة العربية :١٠٢.

[١٧] ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي :٢٧٩.

[١٨] خطاب المناظرة: ٢٠١ .

[١٩] الحجاج في الخطاب السياسي:٢٨١.

[٢٠٢٠] ينظر: اللغة والحجاج:٢٦-٢٧.

[٢١٢١] استراتيجيات الخطاب:٤٧٧.

[٢٢] ينظر: اللّغة والحجاج :٢٦-٢٧.

[٢٣] الحجاجيات اللسانيّة والمنهجيّة البنويّة:١٠٠

[٢٤] معاني الحروف:٧١.

[٢٥] الجنى الداني في حروف المعاني:٢٣٥-٢٣٧.

[٢٦] ينظر:آليات الحجاج وأدواته:١٠٦.

[٢٧] الإحتجاج: ٢/٩٩.

[٢٨] ينظر: المعجم المفصّل في النحو العربي:١/٣١١.

[٢٩] اللّغة والحجاج:٥٨.

[٣٠] اللّغة والحجاج:٧٣.

[٣١] الإحتجاج:٢/٩٤-٩٥.

[٣٢] ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني:٥٤٧-٥٤٨.

[٣٣] ينظر: المصدر نفسه:٥٤٧-٥٤٨.

[٣٤] ينظر: اللّغة والحجاج:٥٨

[٣٥] من سورة التوبة:٧٤.

[٣٦] من سورة التوبة:٥٩.

[٣٧] من سورة محمد:٢٤.

[٣٨] من سورة المطففين:١٤.

[٣٩] بحار الأنوار:٤/٢٦٤.

[٤٠] استراتيجيات الخطاب:٤٧٢.

[٤١] الإحتجاج:٢/٧٧.

المصادر والمراجع :

١- الإحتجاج : احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، تعليق وملاحظات : السيد محمد باقر الخرسان ، مؤسسة الجواد ، بيروت ، "" د . ط "" ، ١٤٠٣ هـ.
٢- استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية : د . عبد الهادي ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد ، ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٣ .
٣- آليات الحجاج وأدواته : عبد الهادي ظافر الشهري : ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته : إشراف حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م
٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : الشيخ محمد باقر المجلسي ، إحياء الكتب الإسلامية ، إيران ، "" د . ط "" ، "" د .
٥- بلاغة الإقناع في المناظرة : عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣

٦- الجنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن القاسم المرادي ، تحقيق فخر الدين قبادة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ .
٧- الحجاج في الخطاب السياسي : الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا دراسة تحليلية ، عبدالعالي قادا ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .
٨- الحجايات اللسانية والمنهجية البنيوية ، رشيد الراضي ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، اشراف حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م .
٩- خطاب المناظرة في الأدب الأندلسي في القران الرابع الى نهاية القرن الثامن الهجري ، د . محمد ابحير ، دار كنوز المعرفية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٤٣٦ هـ . ٢٠١٥ م
١٠- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : احمد بن فارس ، تحقيق : مصطفى الشويمي ، بيروت "" د . ط "" ، ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م .
١١- في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي : د . خليل احمد عمايرة ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م .
١٢- كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان ، القاهرة ، "" د . ط """" د . ت "" .
١٣- اللسان والميزان "" التكوثر العقلي "" ، د . طه عبد الرحمن ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
١٤- اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م .
١٥- معاني الحروف : أبو الحسن بن علي الرماني ، تحقيق : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق ، جدة ، ط١ ، ١٩٨١ م .
١٦- المعجم المفصل في النحو العربي : د . عزيزة فؤال بابتي ، دار الكتب العلمية ، لبنا ن ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
١٧- النص العربي الحجاجي ، دراسة في وسائل الاقناع ، محمد العبد ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، إشراف : حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث الاردن ، ط١ ، ٢٠١٠م
١٨- الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية ، منشورات عكاظ ، الرباط ، "" د . ط "" ، ١٩٩٣ .